جغرافية حائل من خلال كتابات الرحالة في القرن التاسع عشر الميلادي

د. عبد الله سيدي محمد أبنو

جامعة حائل، السعودية

abdoullah2@yahoo.fr

قدم للنشر في: **2019/07/26** قبل للنشر في: **2019/10/02**

Abstract:

It goes without saying the importance of the literature of the journey; as a source of scientific research in the field of human sciences, where the historian, geographer, social scientist, the world of economics, literature and others find their place. The value of the journey comes in the traveler's geographical, historical, social and cultural information. The nature of living and the direct knowledge of the general conditions of the countries visited and inhabited, and the nature of the people and the characteristics of their civilization, and their history.

key words: Surface manifestations - Topography - Geography Hail - Mountains - Plains - Highlands - valleys.

ملخص:

غني عن كل بيان القول بأهمية أدب الرحلة؛ باعتباره مصدراً من مصادر البحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية، حيث يجد فيها المؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع وعالم الاقتصاد ودارس الأدب وغيرهم ضالتهم فيه، وتأتي قيمة الرحلة فيما يدونه الرحالة من معلومات جغرافية وتاريخية واجتماعية وثقافية تتميز بارتكازها على طابع المعايشة والاطلاع المباشر للأحوال العامة للبلدان التي زاروها وأقاموا فيها، وعن طبائع أهلها ومعالم حضارتهم، وتاريخهم[1].

الكلمات المفتاحية:

مظاهر السطحية – التضاريس – الجغرافيا حائل – الجبال – السهول – المرتفعات – الوديان

مقدمة

وقد كان لحائل أهمية كبرى خلال القرن التاسع عشر الميلادي، باعتبارها حاضرة لإمارة آل رشيد، مما جعلها مقصداً لعدد من الرحالة الذين زاروها وأقاموا بها، وسجلوا انطباعاتهم الجغرافية والتاريخية عنها، من أمثال: فالين، والليدي آن بلنت، وهوبر، وبلجريف، وداوتي، وجورماني، وموزل، وغيرهم[2]

ومن بين القضايا التي شغلت أذهان الرحالة الذين زاروا حائل خلال القرن التاسع عشر الميلادي طبوغرافية حائل، فتعرضوا للحديث عن موقع حائل وأهميته الجغرافية ، وأثره التاريخي والحضاري، واشتملت كتب الرحالة على تفاصيل وافية عن أحياء

مدينة حائل ووديانها وجبالها وهضابها، وصخورها، و أسوارها، وأبوابها، وأبراجها، وأسواقها، ومساجدها، وآبارها، ومنازلها، وأنواع النباتات فيها، وغير ذلك من جوانب طبوغرافية المدينة.

وتأتي هذه الدراسة للكشف عن بعض الجوانب الطبوغرافية لمدينة حائل من خلال كتابات بعض الرحالة الذين زاروا المنطقة ووصفوها جغرافيا، وذلك بجمع المادة العلمية المتناثرة فيها، والتأليف بينها، ودراستها في إطارها الشمولي للمنطقة، معتمدا على الوصف الذي قدمه الرحالة عن مختلف مظاهر السطح في حائل، في محاولة للخروج بمعلومات ذات أهمية عن المظاهر الجغرافية التي كتب عنها الرحالة.

وتهدف الدراسة إلى:

1. رصد لأشهر الرحالة الذين زاروا حائل خلال القرن التاسع عشر.
2. التعرف على أهم الظواهر الطبيعية السائدة آنذاك في حائل من خلال وصف الرحالة.
3. الوقوف على أهم الاختلافات في اهتمام الرحالة بالظواهر الجغرافية المتباينة في منطقة حائل .
4. الوقوف على أهم التغيرات التي طرأت على الأرض في الوقت الحالي .

موقع حائل وأهميته الجغرافية.

لمواقع المدن والأقاليم تأثيرات خاصة على نمط الحياة وسلوك السكان وأذواقهم وقدراتهم البدنية والذهنية[3]، وقد تمتعت حائل بموقع استراتيجي مهم؛يتوسط مراكز الحضارة في العراق والشام والحجاز؛مما جعلها مركزاً حضارياً مهماً في تاريخ شبه الجزيرة العربية، حيث تقع منطقة حائل في الجزء الشمالي من هضبة نجد[4]، بقرب خط الطول 46- 41، وخط العرض 33-37[5]، في موقع متوسط بين دمشق وبغداد والحجاز ، وفي منتصف الطريق بين البحر الأحمر والخليج العربي[6] . أما العاصمة حائل فإنها تقع في سفح جبل أجا من الشرق في سهل ذي تربة رملية حمراء ، ممتد بمحاذاة ذلك السفح يتسع جنوباً وشرقاً بينما يقع في جهته الشمالية الشرقية جبل السمراء، وهو انف كان ممتدا من جبل أجا يفصله الوادي[7].

وقد كان لهذا الموقع أثره الكبير ، وعلى كافة المستويات، ، فلا شك أن وجود أسوار طبيعية محيطة بحائل قد ساعد على حمايتها من الغزوات المحلية والاعتداءات الخارجية، فضلا عما ساهم به سكانها من تحصينات اصطناعية، مثل القلاع والأسوار الدفاعية، ومن أهمها تلك القلاع التي بنيت على مرتفعات الحدود الجنوبية، والسور المتين الذي أحاط بحائل والذي بلغ ارتفاعه ما يقارب 20 قدماً، وعليه أبراج ذات شكل مستدير، مما أعطى المدينة أهمية عسكرية واستراتيجية[8]، وهو ما عبر عنه أولئك الرحالة الذين زاروا المنطقة، فقد أثنى فالين[9] على هذا الموقع للمنطقة واعتبرها " أفضل منطقة تصلح للسيطرة على البلدان المجاورة، وأنها أفضل مكان لرئيس الحكومة، .....وانه أفضل مواقع بلاد العرب " .

وفي الإطار ذاته ذكر البارون ادوارد نولده[10] مبعوث روسيا إلى نجد عام 1310هـ/1893م أن " حائل هي المنطقة الوحيدة في الجزيرة العربية التي قد يفكر حكامها فيها ... فأحسن دفاع عنها يكمن في السيطرة على الريف المحيط بها"

وكانت تلك الحقيقة حاضرة في مخيلة الرحالة الذين زاروا المنطقة خلال فترة البحث، فمن جانبه فالين[11] ما تمتعت به موقع استراتيجي وطبيعة خلابة، فعلى سبيل المثال، فيقول:"لا استطيع سوى القول إن موقع هذه المنطقة من أفضل مواقع بلاد العرب

.....إن مناخها الصحي والجبال الغرانيتية التي فيها – وقد تكون الوحيدة في الصحراء- والسهول الفسيحة، وحياة سكانها الزراعية الرعوية هذه العناصر كلها تجتمع لينبثق من نجد رجال أصحاء أقوياء ذوو عقول حرة".

ويسجل في موضع آخر تلك الرؤية بقوله:" تبدو لنا منطقة الجبلين أنها كانت منذ أقدم العصور العربية ممراً لمختلف القبائل التي نزحت إليها من أطراف شبه الجزيرة، ونزلتها زمناً، حتى اضطرها تزايد السكان أو حاجة ملحة، أو الرغبة بالغنائم، أو تفكير ما جديد، كي تنزح منها .....وباستطاعتنا اعتبار وسط الجزيرة ينبوع المهاجرين الذين يموا شطر ما بين النهرين وسورية ومصر وشمالي افريقية المغرب، فسكان هذه البلدان معرضون بسبب طبيعة أرضهم وغناها لانحطاط في عرقهم أو لاستعباد يفرضه عليهم طغاة غرباء، فهم في حاجة من وقت إلى آخر إلى تنشيط يأتيهم من وفود جماعات من البادية ذات عقول لامعة وحرة، ولهذا أحسب نجدا وبلاد الجبلين خاصة، عظيمة الأهمية في تاريخ هذه الرقعة من العالم"[12]..أما الرحالة آن بلنت[13]فراحت تذكر ما أحدثه جمال المنطقة في نفسها قائلة:"كل مكان هو مثل أي مكان آخر تماماً، إلا جبل شمر، فلا شيء يشبهه على الأقل فيما شاهدت في هذا العالم"، وعليه فـ"من المحال ان يشعر المرء حقا بالكآبة او القلق عند رؤية هذه الشمس المشرقة والنسيم النقي العليل"[14].

كان لموقع حائل أهمية كبيرة في حياة سكانها ورخائها الاقتصادي، فقد كانت المنطقة ملتقى الطرق التجارية الرئيسة، ونتيجة وقوعها في منتصف الطريق بين مكة والبصرة ، فقد كانت ممرا للحجاج العراقيين والفرس إلى الأماكن المقدسة في الحجاز[15]، مما أعطى سكانها القدرة على تزويدهم بالمواد الغذائية وإمدادهم بالأدلاء ، وفرض الرسوم مقابل السماح للقوافل بالمرور[16] . وكان لأهمية موقع حائل دوره في جعلها منطقة جذب للعنصر البشرى لا سيما المناطق المجاورة أي الشام والعراق ومصر، حيث مر بها وأقام فيها فترة من الزمن عناصر سكانية من تلك المناطق[17]

كما كان لموقع حائل في طريق الحجاج[18] أثره في استفادة أهلها من ثقافات هؤلاء الحجاج وأفكارهم وعاداتهم بل ولغاتهم [19]، كذلك كان لموقع حائل أثره في سهولة تسرب العقائد والعلوم والمعارف بشتى أنواعها وفروعها[20].ولذا أشاد الرحالة بمعرفة بعض سكان حائل لغات الحجاج ومنها التركية والفارسية[21]، فضلاً عن الكتب التي كان يحملها هؤلاء الحجاج[22].

مخطط لحائل عند اوتينج

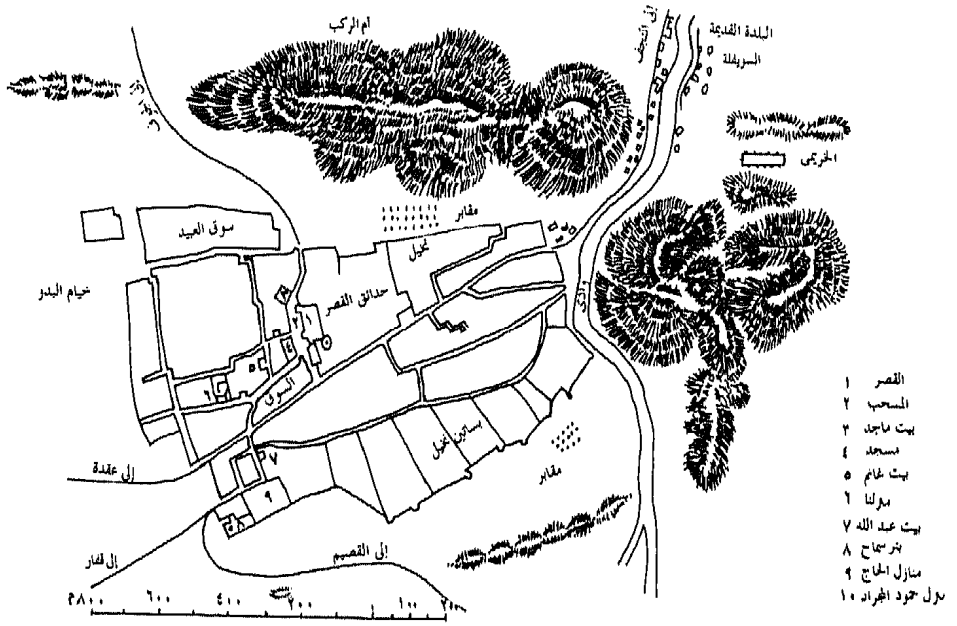

مخطط مدينة حائل

وصف اوتينج لموقع حائل

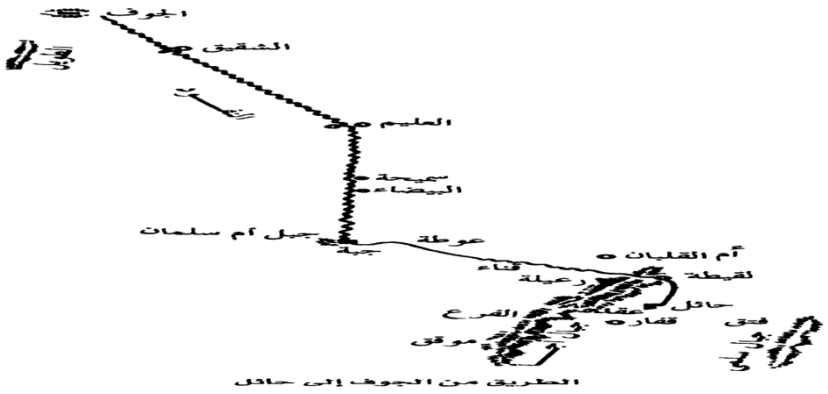

حائل من الجهة الجنوبية

ثانيا: أهم الظواهر الجغرافية التي وصفها الرحالة

1. الجيولوجيا وأشكال سطح الأرض

شغلت أشكال سطح الأرض حيزا كبيرا من كتابات الرحالة الغربيين عن حائل، بوصفها أكثر الظواهر التي استرعت انتباههم، وذلك نظرا لهيمنتها على المنظر الطبيعي للأرض، وتنوعها وتباينها من حيث الامتداد والشكل والارتفاع عن سطح الأرض، ومن حيث مكوناتها الصخرية والرملية.[23]

وقد فرضت مظاهر السطح نفسها على الرحالة أثناء عبورهم المنطقة، وشكلت بذلك مادة خصبة وغنية أثرت كتاباتهم عن المنطقة وجغرافيتها.

وعلى الرغم من تفاوت الرحالة في اهتماماتهم بهذه المظاهر إلا أنهم يشتركون في صفات أهمها:

- اعتماد الرحالة على أقوال الأدلاء والأهالي كمصدر يستمدون منه المعلومات الخاصة بمظاهر السطح المختلفة كالأسماء والمواقع والاتجاهات والارتفاعات.
- تتم تقديراتهم للمسافات التي تفصل بين ظاهرة وأخرى عادة حسب الوقت الذي يستغرقه الرحالة.
- التركيز على وصف مظاهر السطح وصفا شاملا من حيث امتدادها واتجاهاتها وشكلها وارتفاعها ودرجة انحدارها ومكونات سطحها.

أ- وصف الرحالة لمظاهر السطح في منطقة حائل

1.جورج فالين

يعطي جورج فالين وصفاً لحائل متحدثاً عن جبليها الكبيرين أجا وسلما اللذين يتكونان من سلسلتين من الجبال الجرانيتية فكانا من ابرز معالم المنطقة وكانا يعرفان أحيانا بجبلي طي وأحيانا يسميان جبل شمر، وجبل أجا وهو أكبر الجبلين ويمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي ويقدر طوله بمسيرة خمسة أيام وعرضه بثماني إلى عشر ساعات ويرتفع نحو 1000قدم .أما جبل سلمى فهو موازي لجبل أجا ويبلغ عرضه مسيرة اثنتي عشرة ساعة وطوله لا يتجاوز مسيرة ثلاثة أيام وارتفاعه يماثل ارتفاع جبل أجا[24].

أثناء مغادرته لحائل عبر سهلا فسيحا يقول إنه ينتهي عند سلسلة جبال آجا التي كانت تلازمهم من جهة اليمين طوال تلك الفترة (تسعة وثلاثون ساعة) وبعدها بدأ السهل يأخذ اتجاها شماليا وغربيا، واستنادا إلى رواية الأدلاء يقال إن هذا السهل يتصل بالبحر الأحمر دون أن تعترضه جبال أو تلال، وربما كان جزءا من وادي القرى القديم الممتدة من الحجر إلى داخل الصحراء من جهة، وعبر وادي النجد الحالي إلى مرفأ الوجه من جهة أخرى[25]

2- الرحالة الليدي آن بلنت:

لا تختلف الليدي آن بلنت في طريقة وصفها لمظاهر السطح عن فالين من حيث التعميم في الوصف، فعند تحديدها لموقع حائل وعلاقة ذلك بمظاهر السطح من حولها تقول (إن قرية حائل تقع إلى الجنوب الشرقي من مرتفع متضرس، قريبا من الطرف الشرقي لسلسة جبل أجا، التي تبدو في الأفق الشمالي من حائل ممتدة على مد البصر)[27].

3- الرحالة يوليوس أوبتنج

عندما توجهنا نحو الشمال الغربي إلى هضبة أم المسايل، الواقعة أمام (حائل) قمت برسم جزء من سلسلة جبال آجا وفي الصباح الباكر تحركنا في اتجاه الجنوب، وبعد نصف ساعة وصلنا إلى سطح جبل السمراء وارتقينا قمته، التي يتراوح ارتفاعها ما بين 400-5000 قدم وإلى الغرب من هذه القمة كان يقع جبل أجا وإلى الشرق منها يقع جبل سلمى[28].

4- الرحالة ألويس موزل.

اهتم موزل بالوصف الدقيق لمظاهر السطح من جبال وسهول ووديان وحاول شرح كيفية تكوينها وركز على عوامل التعرية باعتبارها من أهم أسباب إعادة تشكيل الظواهر الجغرافية.

لكن الوصف الذي يقوم به بعض الرحالة في تفسير أسباب نشأة بعض الظواهر وخصائصها هو وصف لا يعتمد على الأدلة العلمية المستندة إلى القياسات والتجارب العلمية.

- ✓ إلا انه يضيف بعدا علميا على تلك الأوصاف العامة المكررة في كثير من الأحيان، كما كان يتجنب القول الحاسم في نشأة تلك الظواهر التي يدرسها[29].

ب- رمال النفود:

استرعت ظاهرة النفود الرحالة اهتمام الرحالة كظاهرة طبيعية بارزة تتميز بامتدادها وتنوع بيئتها وألوانها واختلافها عن الأسطح الصخرية والحصوية، ومن أهم الرحالة الذين أسرتهم النفود وكتبوا عنها ووصفوها.

1. الرحالة الويسموزل:

وصفها بقوله: (تبدو النفود منبسطة متشحة بوشاح بنفسجي وتنحدر الكثبان الرملية من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي ، وعند النظر تبدو وكأنها مستوية خالية تماما من أي معالم سوى أكوام الرمال الحمراء المنتشرة في كل مكان، لكنها في الحقيقة غير مستوية كما يبدو بل تزخر بأعداد كبيرة من العروق التي يصعب اجتيازها)[30]

2. ليدي آن بلنت

كانت من أهم الرحالة الذين اهتموا بوصف النفود حيث كتبت في وصفها :

(رأينا من بعيد شريطا احمر يمتد أمامنا في الأفق باتجاه الجنوب على شكل خط مستقيم ثم بدا يرتفع تدريجيا كلما اقتربنا منه فاعتقدت انه سراب ولكن سرعان ما رأيت الخط ينكسر إلى مرتفعات ومنحنيات كأنها أمواج متلاحمة في يوم عاصف.)[31]

3. الرحالة اوتينج

اشتغل في رسم معالم صحراء النفود ونباتاتها ومنخفضاتهاواكتفى بإشارات عابرة لها دون أي تفاصيل. وكان مهتما بكيفية عبورها والمخاطر المترتبة على ذلك.

رسم اوتينج لصحراء النفود[32]

أحد القصور في صحراء النفود

ج- المياه السطحية

تحدث الرحالة الغربيون عن المياه السطحية وخاصة الذين يعبرون المنطقة في فصل الربيع أي موسم سقوط الأمطار فكان منهم من مر على برك، ومنهم من مر على غدران

- . **يذكر فالين** أن أرض النفود من أغنى مراعي العرب وأنهم لا يزورونها إلى في الربيع طلبا لمياه الأمطار التي تتجمع في البرك[33].
- **يذكر اوتينج**أنه وقف هو وهوبر عند منطقة السنانيات في ظلمة الليل على غدير مملوءة بمياه الأمطار[34].

د- الغطاء النباتي

كان وصف الرحالة للنباتات يتجاوز مجرد ذكر وتعداد أنواعها إلى وصف مفعم بالشاعرية، خاصة عندما تجتمع روعة مظاهر السطح من مرتفعات وهضاب وكثبان رملية ووديان مع الأشجار والأعشاب المزهرة ذات الألوان النباتية

- **تحدث فالين** عن النباتات في جبلي أجا وسلمى وقارن بين نوع الشجيرات التي تنمو هناك وفي أماكن أخرى [35]
- **لليدي برلنت** اهتمت بالمقارنة بين نباتات الأرطي والغضا من حيث صلاحيتهما كوقود[36].
- **تحدث موزل**عن ألوان النباتات الجافة في الصحراء وذكر أن االحماط في النفوذ ذو لون فضي وان الأرطي لونه رمادي والعاذر لونه اخضر داكن يميل للسواد

التمدن الحضري وصورة حائل في عيون الرحالة.

ان المطلع على كتابات الرحالة أثناء زيارتهم لحائل أثناء القرن 19 سيلمس اهتمامهم بظاهرة التمدن الحضري والتي أخذت حيزاً لا يستهان به من هذه الكتابات، وإن اعتمدت مرجعيتهم الخاصة في البناء "بالمعمار المقارن"، بين البناء الذي شاهدوه بالبناء في مناطق اخرى ومنها أوربا، فقد أوحت بناء حائل وتنظيمها المعماري للرحالة بلجريف[37]"بشيء من المعاصرة، بل وبشيء من قبيل الأناقة غير المعتادة التي طالعتنا من قبل في القرى التي مررنا عليها، ولكن من الواضح أن حائل كانت مدينة بمعنى الكلمة...مثل كل من بروكسل وباريس".

ومن خلال قراءة متأنية في نصوص الرحالة يمكن تكوين صورة عامة عما تمتعت به حائل خلال فترة البحث من النظافة والروعة والنظام ، فقد وصفها بلجريف[(38)] بقطعة " النقود التي تتلألأ بكل نقائها وبريقها"، إذ أوحت له المدينة "بشيء من المعاصرة، بل وبشيء آخر من قبيل الأناقة غير المعتادة"، إن حائل في نظره "مدينة بمعنى الكلمة"[(39)].

وابدت آن بلنت[(40)]الشعور الغامر الذي انتابها من "جراء النظافة والأناقة البالغة للأسوار والشوارع، التي بدت بمظهر أقرب ما يكون الى الخيال منه الى الواقع"، وهكذا رأت "جبل شمر لا يشبهه أي شيء مهما كان..في هذا العالم روعة وجمالاً"[(41)].

وأشاد نولده[(42)]بـ"حائل ومناظرها الخلابة، التي تشكل سلسلة جبال شمر خلفية فنية رائعة لها...إن كل ما يشاهده المرء في حائل من مبان وجدران وحدائق وآبار جميعها في حالة رائعة وتبدو نظيفة ومرتبة، كل شيءجديد..ان حائل هي المدينة الوحيدة التي يفكر حكامها فيها كما كان ملوك بروسيا يفكرون في برلين".

كانت تحيط بالمدينة تحصينات يصل ارتفاعها إلى حوالي عشرين قدماً، وبها بعض أبراج لتمركز الجنود، وفيها مساحة كبيرة، وبوابات كبيرة تفتح وتغلق بطريقة الطي، وشوارعها ومنازلها كانت متجاورة وقريبة من بعضها، ويشغل قصر الأمير وملاعب الترفيه الملحقة به حوالي معشار مساحة المدينة كلها، جدرانه مصنوعة من الطوب اللبن، سميكة يصل ارتفاعها إلى حوالي ثلاثين قدماً، وأمام القصر ساحة كبيرة، على أحد جوانبها سلسلة كبيرة من مخازن السلع والبضائع الحكومية، والسهل من حول المدينة تتخلله الحدائق والمنازل المنفصلة، المملوكة للسكان الاثرياء، وأسوار المدينة صفراء اللون[43].

وينسب بلجريف[44]إلى الأمير طلال الرشيد تزيين حائل وتمدينها، من خلال انشاء القصور، والمخازن، وتشييد الأسواق، والجوامع، وشق الشوارع، وحفر الآبار، وتنسيق الحدائق الواسعة، وتقوية الاستحكامات القديمة في كل انحاء المدينة، وهكذا شهدت البلاد في عهده ازدهارا حقيقياً لم يتبدل، وقطع شوطاً كبيراً على طريق تمدين البلاد.

تميزت حائل باتساع الشوارع ونظافتها، فحسب شهادة الألوسي[45]هي"واسعة الطرق"، ويقول بلجريف[46]"والشوارع والحارات ..انظف مما توقعت"، "لان الاتساخ في هذه البقعة الرملية يكاد يكون ضربا من المستحيل" [47] .أما الرحالة هوبير [48]فيقول:"منذ غادرت سوريا لم أعد معتاداً على هذه النظافة الفخمة.

أشار الرحالة إلى أن مدينة حائل تكونت من 12 حياً هي:برزان، ولبدة، والجبارة، والجراد، وسماح، والعبيد، والخنقة، وربيعة، وسويفلة، والخريم، ومغيضة[49] .

وصف الرحالة لقصر الإمارة:

ويستطيع الباحث تكوين صورة عن قصر الحكم ونظم البلاط والجيش والقضاء في حائل خلال القرن التاسع عشر من خلال وصف الرحالة، فقد أعطوا وصفاً دقيقاً**لقصر الإمارة** ؛الذي تم استضافتهم فيه، فقد أسسه عبدالله بن رشيد 1834-1847م[50]وجعله مقراً للحكم "واستعراضاً لكل مظاهر العظمة والفخامة"[51]، التي تجلت في عهد خليفته طلال 1847-1866م، الذي كان همه الأول "تزيين العاصمة وتمدينها"[52]، ومن بينها قصر الإمارة؛حيث أتم بناءه[53] وقد وصفه من رآه من الرحالة بـ"قصر الملك الضخم"[54] "الشامخ ذي الأبراج العالية"[55]، "جيد الاضاءة وأنيق ومنظم إلى حد بعيد"[56].

كان القصر وملاعب الترفيه الملحقة به يشغل حوالي معشار مساحة مدينة حائل[57]، وتحيط بالقصر جدران مصنوعة من اللبن، سميكة جداً، يصل ارتفاعها إلى ثلاثين قدماً، وله بوابة كبيرة موضوعة طبقاً للعرف السائد على شكل زاوية منحسرة في الجدار[58] ويتم اقفالها بالليل[59] ويوجد على جانبيها برجان مربعان، وأمامها مقعد طويل مصنوع من الحجر، في منتصفه مقعد مرتفع يجلس عليه الأمير لمقابلة الناس[60].وفي مواجهة القصر تم بناء المسجد الكبير أو الجامع[61]الذي أنشأه عبدالله بن رشيد[62]، وأكمله ابنه طلال لأداء صلاة الجمعة[63] والصلوات الأخرى[64]

وكان بالقصر اسطبلات لخيول الأمير الأصيلة، مقسمة حسب الأعمار والجنس[65]، وحيوانات أخرى كالغزلان والضباء والبقر الوحشي[66]، والنعام[67].وداخل القصر يوجد بستان مليء بأشجار النخيل والتين والليمون والبرتقال والرمان والبرقرق[68] .

وصف الرحالة للمنازل:

هناك وصف لمساكن الوجهاء فيصف بلجريف[69] منزل أحد التجار الاثرياء بحائل بأنه مسكن يسر الخاطر، به غرفة كبيرة تسمى الديوان، تطل على بستان المنزل الكبير، ونوافذها من الزجاج الملون، والأرض مفروشة بالسجاد الفارسي البهيج، وبالمجلس تكايات من الحرير، وأفخم الاثاث العربي، كما وصفت بلنت[70] يت رئيس عبيد قصر محمد بن عبدالله بأنه شديد الاناقة مزين بأشكال من الجص لعصافير وبهائم.أما منازل الاوساط الشعبية فكانت تبنى من المواد المستعملة في الصحراء كاللبن والآجر وجذوع النخل، وأكثر البيوت تتكون من طبقتين، قليلة الغرف، لكنها تتميز بالاتساع والراحة، ويخترق النور هذه الغرف عبر كوات صغيرة في الجدران تحت السقف مباشرة، ويوجد في البيت مكان منفصل مخصص لاستقبال الضيوف، تجتمع فيه الرجال لتبادل الأحاديث وللنظر في الأعمال[71]، وكانت تحيط بالبيوت حدائق نخيل وحولها من جميع الجهات جدران طينية[72]، تتدلى من فوقها الأشجار[73] .

أكد داوتي[74] على أن التخطيط العام للمنزل الحائلي استجاب للمناخ القائظ والمتقلب في تصميمه للمساقط والزوايا وأيضاً لاشتراطات القيم الاجتماعية والأخلاقية .وتحدثت آن بلنت[75] عن وضعية النساء في الفضاء المعماري التقليدي

حيث تصير الدار بالنسبة إليهن بمثابة مملكة واسعة مكيفة ومريحة، كما استعملت المداخل المنكسرة لدفع الداخل إلى البيت بشكل متواصل إلى الاستدارة بزاوية 90 درجة منذ اللحظة التي تطأ فيها قدمه عتبة الباب لكي لا يرى السيدات في داخله[76].

تؤكد كتب الرحالة على أن طبيعة المنازل قد اختلف باختلاف الانتماء الطبقي لأصحابها، فقد تميز منزل الوجيه والثري بأنه مسكن يسر الخاطر، به غرفة كبيرة تسمى الديوان، تطل على بستان المنزل الكبير، ونوافذها من الزجاج الملون، والأرض مفروشة بالسجاد الفارسي البهيج، وبالمجلس تكايات من الحرير، وأفخم الاثاث العربيمزين بأشكال من الجص لعصافير وبهائم[77]، أما منازل الاوساط الشعبية فكانت تبنى من المواد المستعملة في الصحراء كاللبن والآجر وجذوع النخل، وأكثر البيوت تتكون من طبقتين، قليلةالغرف، لكنها تتميز بالاتساع والراحة، ويخترق النور هذه الغرف عبر كوات صغيرة في الجدران تحت السقف مباشرة، ويوجد في البيت مكان منفصل مخصص لاستقبال الضيوف، تجتمع فيه الرجال لتبادل الأحاديث وللنظر في الأعمال[78]، وكانت تحيط بالبيوت حدائق نخيل وحولها من جميع الجهات جدران طينية[79]، تتدلى من فوقها الأشجار[80].

والطابع السائد هو أن يتكون المنزل من قسمين؛ القسم الداخلي للنساء غرفه بالعادة قليلة، لكنها فسيحة ومريحة ويدخلها النور من الباب ومن كوّات صغيرة في الجدران تحت السقف. وتوجد غرفة صيفية تعرف بغرفة الليوان وهذه الغرفة معروفة بأن جهتها الشمالية مفتوحة وغالبا ما تكون هذه الجهة مطلة على فناء فسيح يسمح بدخول أكبر كمية من الهواء.والقسم الثاني القسم الخارجي الخاص بالرجال يحوي غرفة رئيسية تسمى غرفة القهوة وهو المجلس الرئيسي الذي يستقبل فيه الضيوف, وتحتوي غرفة القهوة الذي يضع فيه الدلال والأباريق وأدوات القهوة ويتم تزيين غرفة القهوة بالرسومات الجصية والكتابات المختلفة.

الخاتمة والنتـائـج

- كان الرحالة يصفون الظواهر من منظورات مختلفة كانت تؤثر فيما يكتبون من أوصاف أو تفسيرات لهذه البيئة بطرق مختلفة
- كان هناك تفاوت في اهتمامات الرحالة حول الظواهر الجغرافية في منطقة حائل.
- تأثر الرحالة بالأدلاء والروايات الشعبية في كثير من الأحيان حول بعض الظواهر الجغرافية ونشأتها وتطورها.
- شكلت كتابات الرحالة مصدرا مهما من مصادر المعرفة الجغرافية والتاريخية عن المنطقة وأهم مصدر متاح الآن للجغرافيا التاريخية.
- صعوبة الوقوف عل التغيرات الجغرافية التي طرأت في الوقت الحاضر لعدم شمولية هذه الكتابات والانتقائية في وصف الظواهر الجغرافية حسب الاهتمامات.

قائمة الصادر والمراجع:

1–نظر مثلاً حسين محمد فهيم:أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، أسعد عيد الفارس:" الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية، أهدافهم وغاياتهم"، ضمن ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، عبدالله بن عبد الرحمن:" كتابات الرحالة الغربيين مصدرا لتاريخ الجزيرة العربية"، مجلة الدارة، ع1، س27، 1422هـ، ص ص21–48، جمال زكريا"الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، ضمن ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ص 9–28، هلال الحجري:"أدب الرحلات والاستشراق البحث عن المنهج"، المجلة العربية للعلوم الانسانية، مج 26، ع102، 2008م، ص 11–62.

.2– انظر دراسة عوض البادي:الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية منطقة حائل، النادي الثقافي الادبي بحائل، 1435هـ.

3–)العفنان، سعد بن خلف: حائل وعبقرية المكان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1414هـ، ص 87.

4– السبيت، عبدالرحمنوآخرون:"منطقةحائل"، ، الدارة، لرياض، السنةالثالثة، العدد 3، 1403هـ.ص57.

5–موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط1 1424هـ، ج2، ص449، الفريح، عبدالرحمن:"منطقةحائلبانوراماالمكانوالسكان"، مجلةرؤى، العددالثانعشر 1424هـ.ص8.

6– لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج6، ص .2248

7– كحالة، رضا: جغرافيةشبهجزيرةالعرب، مكتبةالنهضةالحديثة، مكة، 1364 هـ ، ص124، إبراهيم بن عبدالله الحازمي تحقيق لكتاب زهر الخمائل للهمندي، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، 1427هـ، ص7، الدخيل، سليمان:"حائل"، مجلة لغة العرب، السنة 4، شعبان 1332 هـ، ص .31

8– الدخيل:المرجع السابق ص 31–32، 118، عبيد، جباريحيي:التاريخالسياسيلإمارةحائل، الدرالعربيةللموسوعات، بيروت، 1424هـ ، ص 19.

9– فالين، جورج اوغست:صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة سمير شلبي، بيروت، 1971، ص 123.

10–لأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تقديم وتعريب عوض البادي، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، 1422هـ/2002م، ص 48–49.

11–فالين:مصدر سابق، ص 123.

12ـمصدر سابق، ص 119، 121.

13الليدى، آنبلنت، :رحلةإلىنجدمهدالعشائرالعربية، ترجمةوتعليقاحمدايبش، دارالمدللثقافةوالنشر، دمشق، 2005م ، ص 242.

14 بلنت:مصدر سابق، ص236.

15 البركاتي، شرف بن عبد المحسن : **الرحلة اليمانية** دار الوراق للنشر، لندن، 2007م، ص .155

16الين:المصدر السابق، ص 100، لوريمر: المرجع السابق، ج5، ص1650 ، 1662–.1663

17– العفنان: حائل وعبقرية المكان، ص .185

18البركاتي:مصدر سابق ، ص 155، حسني، حسين:مذكراتضابطعثمانيفينجد، ترجمةوتعليقسهيلصابان، ط1، دارالكتبالعلمية، بيروت، 2003م ، ص 55.بلنت:مصدر سابق، ص251، 303، اوتينج:مصدر سابق، ص105، فالين:مصدر سابق، ص 100، 183.

19السويداء، عبد الرحمن:منطقة حائل عبر التاريخ، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، 1430هـ ، ص 408.

20ولوريمر، ج.ج.:دليل الخليج، القسم الجغرافي، طبعة جديدة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، الدوحة(د.ت)، ج6، ص 2248، بلجريف:مصدر سابق، ص150، فايس:مصدر سابق، ص106.

21فالين:مصدر سابق، ص 107.

22 بلجريف:مصدر سابق، ص197، داوتي:مصدر سابق، ص205.

23 ياسمين كامل سليم صالح، جغرافية منطقتي الجوف وحائل في كتابات الرحالة الغربيين، ص: 212

24 فالين:مصدر سابق، ص.95

25 فالين:مصدر سابق، ص.134

26 بلنت:مصدر سابق، ص.237

27 اوتينج:مصدر سابق، ص92

28- اوتينج:مصدر سابق، ص92

29- موزل، ألويس "تاريخبيتآلرشيد"، مجلةالعرب، ع 7-8، السنةالعاشرة، 1976م/1396هـ، ص

30- موزل:مصدر سابق، ص

31-انظر وصفاً دقيقاً للنفود عن الليدي بلنت :مصدر سابق، ص ص 183-186.

32- اوتينج:مصدر سابق، ص.87

33 فالين:مصدر سابق، ص.83

34 اوتينج:مصدر سابق، ص.88

35 فالين:مصدر سابق، ص9

36 بلنت:مصدر سابق، ص

37بلجريف:وسط الجزيرة العربية وشرقها 1862-1863، ترجمة صبري حسن، المجلس الاعلة للثقافة، 2001م ج1، ص130-132.

38بلجريف:مصدر سابق، ج1، ص128.

39بلجريف:المصدر السابق، ج1، ص130.

40 المصدر السابق، ص246.

41 المصدر السابق، ص242.

42 المصدر السابق، 38، 43.

43بلجريف:مرجع سابق، ص130-132.

44مصدر سابق، ص159، 167.

45تاريخ نجد، عنى بتحقيقه محمد بهجة الاثري، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ، ص20.

46بلجريف:مرجع سابق، 213.

47بلنت:مصدر سابق، ص227.

48هوبير:رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878–1882، ترجمة اليسار سعادة، كتب، بيروت، 2003م، ص 51.

49هوبير:مصدر سابق، ص159.

50بلنت:مصدر سابق، ص280، فؤاد حمزة:قلب جزيرة العرب، ط2 مكتبة النصر الحديث، الرياض، 1968م.، ص343.

51لجريف:مصدر سابق، 158.

52لجريف:مصدر سابق، 159.

53حمزة:مصدر سابق، ص343.

54بلجريف:مصدر سابق، ص130.

55وتينج:مصدر سابق، ص93.

56لجريف:مصدر سابق، ص133.

1هوبير:رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878–1882، ترجمة اليسار سعادة، كتب، بيروت، 2003م، ص 51.

1بلجريف:مصدر سابق، ص131.

1جورماني:نجد الشمالي رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم عام 1864م، ترجمة وتعليق أحمد أبيش، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، 2009م، ، ص76.

1بلجريف:مصدر سابق، ص131، 167، بلنت:مصدر سابق، ص250.

1بلجريف:مصدر سابق، ص 133.

1فالين: مصدر سابق، ص105.

1بلجريف: مصدر سابق، 159.

64جورماني: مصدر سابق، ص75، 78.

1هوبير:رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878–1882، ترجمة اليسار سعادة، كتب، بيروت، 2003م، ص 51.

1بلنت: مصدر سابق، ص255، اوتينج: مصدر سابق، ص104.

1بلجريف: مصدر سابق، ص133، بلنت: مصدر سابق، ص259.

68وتينج: مصدر سابق، ص104.

1هوبير:رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878–1882، ترجمة اليسار سعادة، كتب، بيروت، 2003م، ص 51.

70بلنت: مصدر سابق، ص259.

1مصدر سابق، ص126.

1بيل، جيرترود:رسائلجيرتروديبيل 1899–1914، ترجمةرزقاللهبطرس، الوراقللنشر، لندن، 2008م ، ص333.

[1]بلجريف: مصدرسابق، ص199.

[1]مصدر سابق، ج1، م2، ص425.

[1] مصدر سابق، ص186.

[1] مصدر سابق، ص189.

[1]بلنت: مصدر سابق، ص259، بلجريف: مصدرسابق، 221.

[1] مرجع سابق، ص126.

[1]جيرترووديل:مرجع سابق، ص333.

[1]بلجريف:مرجع سابق، ص199.

.